



ربما يكون الوقت غير مناسبٍ للمقارنة بين مذبحتين، يفصل بينهما نحو ثلاثة عقود، فالذبحة الجديدة لم تزل مفتوحةً، والدم الذي سال من ضحاياها لم يجفَ بعد، بل ثمة دم جديد يتدفق، وآخر برسم الانفجار. ولكن، من حق الضحايا في كلتا المذبحتين، وما بينهما، وما سيتلوهما أيضاً، أن يسألوا: من المسؤول؟ أما السؤال الأكثر أهمية فهو: هل هناك فرصة للاعتبار، واستدراك ما فات، وما سيأتي من موتٍ محققٍ؟

ليست الأسئلة كلها لتبرير جريمة القاتل، بل هي محاولةٌ لسؤال المقتول، فيم قتل؟ ولم؟ بل أكثر من ذلك هي محاولةٌ للبحث عن قتلة "مخفيين"، ربما بدا أنهم "ضحايا"، وهم، في الحقيقة، شاركوا بغير قصد وبنياتٍ "حسنة" في الجريمة، فكانوا جزءاً من أسبابها، وضحاياها أيضاً!

في كل بقعةٍ من بقاع العرب والمسلمين، دخلها الناطرون المسلمين الذين يرفعون شعار "تطبيق الشريعة"، تحل اللعنة على العباد والبلاد، وتصحو كل شياطين الأرض، وتُستنفر الجيوش النائمة، وتحرّك المؤامرات، لإجهاض "الحلم الإسلامي"، حتى ولو كان على مستوى "حزبٍ متواضعٍ، مثل "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" في الجزائر، فكيف إذا شكل هؤلاء الناطرون حركةً مسلحة، تنتهي طريق القوة والجهاد؟

متى يفهم هؤلاء الناطرون أن عليهم أن يغيّروا استراتيجيةهم بشكل جذري وإبداعي، حتى لا يتحولوا إلى لعنة حقيقة، ليس على الإسلام فحسب، بل على كل أرضٍ يحلون فيها، (سورية لن تكون المثل الأخير)

لو أذن للرسول عليه الصلاة والسلام بالقتال، والمسلمون مستضعفون في مكة المكرمة، لتمت إبادتهم عن بكرة أبيهم، لهذا مكث ثلاثة أعوام في دعوة سرية، وحينما انتقل إلى الدعوة العلنية، لم يؤمر بالقتال، بل استمر بدعوته جهراً من دون قتال عشر سنوات، ولم يؤمر بالقتال (حتى مع الأذى والتعذيب) إلا بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وتأسيسه كيان المسلمين.

المسلمون اليوم مستضعفون، وأي صوت علا لهم، يتم سحقه بمنتهى الوحشية، من القريب قبل الغريب، فكأنهم يعيشون المرحلة المكّية الأولى، ولا يفتّ أحد بكثرة عددهم، فهم بلا كيان ولا شوكة، والشوكه التي "يعلنونها" سرعان ما تُباد، حتى ولو جاءت عبر صناديق الاقتراع، إلى هذا وذاك، فجل من يحملون راية الإسلام، ولا أقول كل، يلتبس عليهم الأمر، فيحسبون كل فرجٍ (أو فوز في الانتخابات) تمكيناً، فيقعون في المحذور، ناهيك عن صلف كثيرون منهم وجلافتهم، وربما وحشيتهم وجهلهم، في تطبيق "شعائر" الإسلام وفروضه، حتى أنه ينفر أهله وذويه منه، قبل غيره من الأعداء، فلا هو بكافٍ للقريب،

لها، ربما "فشلـت" كل المكونات الإسلامية (السنـية تحديـداً)، مسلـحةً كانت أو سـلمـية، في الوصول إلى هـدـفـها، باـستـثـنـاء التجـربـة الأـرـدوـغـانـية في تـرـكـياـ الحـدـيـثـةـ، وـحتـىـ هـذـهـ لمـ تـسـلـمـ حتىـ الآـنـ منـ التـآـمـرـ الدـوـلـيـ، وـالـشـيـطـنـةـ، وـهـاـ هـمـ يـسـلـطـونـ عـلـيـهـاـ الـيـوـمـ صـنـائـعـهـمـ منـ "إـرـهـابـيـنـ" الصـغـارـ، لـتـقـويـصـ أـمـنـ تـرـكـياـ، وـإـلـحـاقـهـ بـمـعـسـكـرـ التـجـارـبـ إـلـاسـلـامـيـةـ الفـاشـلـةـ، إـنـ اـسـتـطـاعـواـ.

هـيـنـماـ تـهـزـمـ فيـ مـعـرـكـةـ، أـنـتـ عـادـةـ لـتـلـعـنـ أـعـدـاءـكـ، وـلـاـ تـلـجـأـ إـلـىـ الدـاعـاءـ عـلـيـهـمـ، وـلـاـ إـلـىـ تـنـظـمـ المـظـاهـرـاتـ ضـدـهـمـ (!)، بلـ تـبـحـثـ عنـ مـوـاـطـنـ الـخـلـ فيـ أـدـائـكـ، لـلـنـصـرـ وـالـهـزـيـمـةـ قـوـانـيـنـ وـنـوـامـيـسـ صـارـمـةـ، لـاـ تـحـابـيـ أـحـدـاـ، لـمـ نـسـمـ، فيـ مـؤـتـةـ، مـسـلـمـاـ وـاحـدـاـ.

صـبـ جـامـ غـضـبـهـ عـلـىـ الـرـوـمـانـ وـحـلـفـائـهـمـ منـ الـعـرـبـ، وـلـاـ خـرـجـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ فيـ تـظـاهـرـاتـ تـنـدـدـ بـالـرـوـمـانـ. أـحـدـ النـاجـينـ منـ مـذـبـحـ حـمـاـ، كـتـبـ مـعـلـقاـ علىـ بـرـنـامـجـ الـفـيلـمـ الوـثـائـقـيـ الـذـيـ عـرـضـ قـبـلـ فـتـرـةـ عـلـىـ شـاشـةـ قـنـاـةـ الـجـزـيرـةـ "الـصـنـدـوقـ الـأـسـدـ"ـ حـمـاـ 82ـ:ـ الرـسـالـةـ الـتـيـ فـهـمـهـاـ الـأـسـدـ الـأـبـ منـ الـقـوـىـ الـعـظـمـىـ آـنـذـاـكـ، وـخـاصـةـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ، وـفـقـاـ لـوـثـيقـةـ مـكـتـوبـةـ، صـادـرـةـ عـنـ الـمـخـابـراتـ الـعـسـكـرـيـةـ الـأـمـيـرـكـيـةـ فيـ نـيـسـانـ 1982ـ، كـشـفـ عـنـهـاـ الـفـيلـمـ الـوـثـائـقـيـ، كـانـ فـحـواـهـاـ:ـ اـفـعـلـ ماـ تـشـاءـ لـتـثـبـيـتـ حـكـمـكـ، مـعـ الـاحـفـاظـ بـمـصـالـحـنـاـ وـمـصـالـحـ إـسـرـائـيـلـ.

لـلـأـسـفـ مـاـ تـزـالـ صـالـحةـ، وـقـدـ عـمـلـ بـهـاـ الـأـسـدـ الـابـنـ، وـكـانـ الـتـارـيـخـ يـكـرـرـ نـفـسـهـ.ـ فـوـفـقـاـ لـشـهـادـةـ تـوـمـاـسـ فـرـيـدـمـانـ:ـ "ـقـوـاعـدـ لـعـبـةـ حـمـاـ تـلـعـبـ مـنـ جـدـيـدـ، بـوـاسـطـةـ بـشـارـ الـأـسـدـ، اـبـنـ حـافـظـ الـأـسـدـ.ـ يـحـاـوـلـ النـظـامـ السـوـرـيـ إـعـادـةـ مـاـ فـعـلـهـ فـيـ حـمـاـ.ـ وـلـكـنـ بـالـعـرـضـ الـبـطـيـءـ، وـدـوـنـمـاـ اـسـتـعـجـالـ، وـبـشـكـلـ تـدـريـجـيـ".ـ

تـتوـافـقـ صـعـوبـاتـ الـثـورـةـ السـوـرـيـةـ حـالـيـاـ معـ اـسـتـنـتـاجـ أـنـاـ (ـالـسـوـرـيـنـ)ـ ماـ زـلـنـاـ قـاـصـرـيـنـ سـيـاسـيـاـ فـيـ التـفـكـرـ وـالـاستـفـادـةـ مـنـ درـوـسـ مـجـزـرـةـ حـمـاـ 1982ـ،ـ وـالـصـرـاعـ الـمـسـلـحـ بـيـنـ الـنـظـامـ الـأـسـدـيـ وـالـإـسـلـامـيـيـنـ.

لـأـحـدـ يـنـكـرـ عـلـىـ مـنـ ذـاقـ مـرـارـ الـظـلـمـ وـالـهـوـانـ، وـعـانـىـ مـنـ بـشـاعـةـ جـبـرـوـتـ نـظـامـ الـأـسـدـ،ـ أـنـ يـحـلـ بـالـحـرـيـةـ،ـ وـيـتـقـنـ إـلـيـهـاـ،ـ بـلـ يـعـمـلـ عـلـىـ نـيـلـهـاـ،ـ وـيـبـذـلـ فـيـ سـبـيلـ ذـلـكـ الـغـالـيـ وـالـرـخـيـصـ،ـ وـلـكـنـ،ـ شـرـيـطـةـ الـاـسـتـفـادـةـ مـنـ عـبـرـ الـمـاضـيـ،ـ وـعـدـمـ تـكـرـارـ الـخـطـأـ،ـ وـدـفـعـ الـثـمـنـ مـرـتـيـنـ.ـ أـقـوـلـ هـذـاـ وـقـلـبـيـ يـعـتـصـرـهـ الـأـلـمـ،ـ وـلـكـنـ كـلـ مـاـ قـرـأـتـهـ عـنـ حـلـبـ،ـ وـمـذـابـحـهـ،ـ وـفـظـائـعـهـ،ـ سـوـاءـ الـتـيـ اـرـتكـبـهـاـ الـنـظـامـ أـوـ الـمـلـيـشـيـاـ الـفـارـسـيـةـ،ـ وـلـاـ أـقـوـلـ الشـيـعـيـةـ،ـ وـلـاـ أـقـوـلـ الـشـيـعـيـةـ،ـ صـبـ جـامـ غـضـبـهـ عـلـىـ الـقـاتـلـ،ـ بـاعـتـبـارـهـ السـبـبـ فـيـ كـلـ مـاـ حـدـثـ،ـ وـلـمـ يـكـدـ يـتـطـرـقـ أـحـدـ إـلـىـ مـلـابـسـاتـ مـاـ جـرـىـ فـيـ الـجـانـبـ الـأـخـرـ مـنـ أـخـطـاءـ قـاتـلـةـ،ـ جـرـتـ الـبـلـادـ وـالـعـبـادـ إـلـىـ سـاحـةـ الـذـبـحـ.

لـيـسـ مـنـاسـبـاـ لـوـمـ الـضـحـيـةـ لـمـ قـتـلـهـاـ جـلـادـهـاـ،ـ فـهـذـاـ مـنـتـهـيـ الـغـبـاءـ وـالـقـسـوـةـ،ـ وـلـكـنـ صـفـحةـ الـمـذـبـحـ لـمـ تـزـلـ مـفـتوـحةـ،ـ وـأـخـشـيـ مـاـ أـخـشـاهـ أـنـ يـسـتـمـرـ الـخـطـأـ،ـ فـيـدـفـعـ الـنـاسـ الـأـبـرـيـاءـ مـزـيـدـاـ مـنـ أـثـمـانـ أـخـطـاءـ "ـثـوـارـ"ـ يـلـقـونـ بـأـنـفـسـهـمـ وـأـهـلـيـهـمـ إـلـىـ تـهـلـكـةـ،ـ مـنـ دـوـنـ حـسـابـ مـواـزـيـنـ الـقـوـةـ،ـ وـلـاـ الـظـرـوفـ الـإـقـلـيمـيـةـ الـقـائـمـةـ حـالـيـاـ.

الـلـعـنـةـ عـلـىـ الـقـتـلـةـ وـالـمـعـتـدـيـنـ،ـ مـنـ رـوـسـ وـفـرـسـ وـرـجـالـاتـ نـظـامـ فـاسـدـ مـجـرـمـ،ـ غـيـرـ أـنـ هـذـهـ الـلـعـنـةـ لـاـ تـكـفـيـ لـوـقـفـ الـمـذـبـحـ،ـ صـفـحةـ الـصـرـاعـ لـمـ تـزـلـ مـفـتوـحةـ،ـ وـالـسـؤـالـ الـكـبـيرـ الـذـيـ يـظـلـ مـشـرـعاـ هوـ:ـ مـاـذـاـ يـفـعـلـ النـاـشـطـوـنـ إـلـاسـلـامـيـوـنـ بـإـرـثـ مـائـةـ عـامـ لـمـ يـفـضـ إـلـاـ إـلـىـ مـزـيـدـ مـنـ الـمـصـائـبـ،ـ فـيـ مـصـرـ كـمـاـ فـيـ لـيـبـيـاـ،ـ وـسـوـرـيـةـ أـيـضـاـ.

هـلـ يـحـلـونـ "ـتـنـظـيمـاتـهـمـ"ـ وـيـجـلـسـونـ مـنـتـظـريـنـ "ـفـرـجاـ"ـ غـيـبـيـاـ،ـ أـمـ يـغـيـرـونـ كـلـ طـرـيقـهـمـ فـيـ الـعـلـمـ،ـ فـيـنـحـونـ كـلـ شـعـارـهـمـ "ـإـلـاسـلـامـيـةـ"ـ الـتـيـ تـثـيـرـ الـرـعـبـ فـيـ قـلـوبـ الـكـلـ،ـ وـيـعـمـلـونـ لـقـيـامـ دـوـلـ مـدـنـيـةـ،ـ بـحـقـوقـ وـوـاجـبـاتـ،ـ وـمـوـاـطـنـةـ مـتـسـاوـيـةـ،ـ أـمـ يـنـتـظـرـونـ مـزـيـدـاـ مـنـ إـلـجـاهـضـ وـالـسـحـقـ لـكـلـ بـرـعـمـ يـسـتـبـتـونـهـ؟ـ أـمـ يـسـتـمـرـونـ فـيـ طـرـيقـهـمـ الـذـيـ لـمـ يـجـلـبـ غـيـرـ مـزـيـدـ مـنـ الـمـصـائـبـ،ـ لـهـمـ وـلـأـمـتـهـمـ الـتـيـ يـجـرـونـهـاـ إـلـىـ تـهـلـكـةـ،ـ وـهـمـ يـرـيدـونـ لـهـاـ الـخـلـاـصـ؟ـ

العربي الجديد

المصادر: